

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 3 (2008) : 1 - 25
www.univ-ghardaia.dz/index.php/dz/component/content/article?id=130

دور الدعاية العثمانية–الألمانية في رفض التجنيد الإجباري بالجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914– 1918)

أ/ بالحاج ناصر قسم التاريخ المركز الجامعي ـ غرداية

بعد الإعلان عن اندلاع الحرب الكونية الأولى، فرضت الإدارة الاستعمارية في الجزائر حالة الطوارئ القصوى والرقابة المشددة، وذلك تحسبا لأية أحداث مفاجئة، حيث تبين لنا جلّ المصادر التي اطلعنا عليها، خشية وتخوف الفرنسيين من أن يستغل الجزائريون فرصة الحرب ليثوروا ضد فرنسا، فذكريات ثورة 1871 بعد الحرب الفرنسية– الألمانية سنة 1870، كانت لم تمحي بعد من الأذهان، فبقدر ما كان الفرنسيون حرصين على الدفاع عن وطنهم بأوروبا، كانوا حرصين كذلك على الاحتفاظ بالجزائر وشمال إفريقيا مستعمرة فرنسية نظرا لدورها الإستراتيجي في تشييد الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية التي كانوا يحلمون بها.

وكان على الإدارة الاستعمارية الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى كذلك، أن تواجه الدعاية العثمانية–الألمانية التي كانت تحث الجزائريين على استغلال فرصة الحرب العالمية، والثورة ضد الاستعمار، للتخلص منه.

1. الدعاية العثمانية–الألمانية ضد التجنيد وأثرها على الجزائريين:

عرفت الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى انتشار دعاية ألمانية–عثمانية حثيثة، أعلنت أن هدفها هو مساعدة شعوب شمال إفريقيا على تحرير بلدانهم من

الاستعمار الفرنسي الكافر. لكن في الواقع كان هدفها الأول، خلق صعوبات ومشاكل لفرنسا في مستعمراتها علّ ذلك يساهم في إضعافها في الحرب. أما الجزائريون من جهتهم، فقد رأوا أن هذه الحرب قد تكون فرصة لهم للخلاص من الاستعمار إذا ما انتصر الألمان والعثمانيون على فرنسا والحلفاء.

كانت الدعاية الألمانية المضادة لفرنسا منشرة في الجزائر من قبيل الحرب، حيث أكد الكاتب الفرنسي ديبارمي Desparmet سنة 1915 مايلي: "إن ألمنة الجزائر قد بدأت خلال الخمس عشر سنة الماضية"[1]، وذلك عن طريق جواسيس ألمان ترددوا على الجزائر كثيرا لاسيما في السنوات القليلة قبل اندلا ع الحرب. ويؤكد كاتب فرنسي آخر وهو أوغسطين برنارد Augustin Bernard أن هؤلاء الجواسيس حاولوا إظهار ألمانيا بمظهر حسن، وربطوا علاقات جيدة مع الأهالي، وحاولوا تحريضهم للثورة ضد فرنسا[2]. وبما أن قضية رفض الجزائريين للتجنيد الإجباري كانت من أهم القضايا التي أثارت معارضتهم للسياسة الاستعمارية قبل الحرب بقليل، لا يستبعد أن أولئك الجواسيس قد استغلوا هذه القضية كثيرا في تحريض الجزائريين، وقد أكدت جريدة الأخبار Akhbar منذ سنة 1909 اهتمام الصحف الألمانية بهذه القضية وذكرت على الخصوص صحيفة ستراسبورغ بوست Strassburg Post[3].

لكن الألمان لم يكونوا متفقين على مدى قوة الحركة الوطنية الجزائرية وقدرتها على مواجهة السلطة الاستعمارية الفرنسية[4]، فبعضهم كانوا يرون أنها غير قادرة على تحقيق الاستقلال عن فرنسا، وبعضهم الآخر كانوا يرون عكس ذلك، أي أنها قادرة على تحقيق الاستقلال، أو على الأقل تشكيل خطر حقيقي على فرنسا خلال الحرب، ويظهر ذلك جليا من خلال دراستي المستشرقين الألمانيين جورج كامفماير [5] وكارل بيكر[6]، ففي سلسلة ألمانيا والإسلام Deutschland and der Islam التي كانت تصدر ببرلين بألمانيا، نشر كامفماير دراسته التي هي بعنوان: شمال غرب إفريقيا وألمانيا Nordwestafrika und Deutschland ، والتي بين فيها المساعي الحثيثة للجواسيس الألمان الذي كانوا في شكل تجار وسيّاح، وأكد أن شمال إفريقيا يعتبر مجالا هاما لطموحات ورهانات ألمانيا في حربها، وبالرغم من ذلك فهو يرى بأنه "لا يمكن لألمانيا أن تعتمد على سكان شمال إفريقيا" لأنهم غير

قادرين على القيام "بثورة وطنية"، ولاسيما في الجزائر. وفسر ذلك بكون الاستعمار فيها قديما ومتسلّطا، كما أن ظروف ثورة 1871 غير متوفرة في 1914، وحتى وإن قام الجزائريون بالثورة فلن تكون شاملة لكل البلاد. وربط ذلك بعدم وجود أي حركة أو صحافة وطنية أو أدب حيّ. وبالإضافة إلى ذلك قال بأن أعضاء حركة الشبان الجزائريين، ولم يكن لهم تأثير كبير على الأهالي الذين كانوا يعانون من سياسة التجهيل، وانتشار فكرة القدرية في أوساطهم، أي استسلامهم إلى أن"الاستعمار قدر محتوم من الله ولا مفر منه. وبالتالي فليس لألمانيا ما تنتظره من الإسلام في إفريقيا الشمالية، وحتى وإن هزمت ألمانيا فرنسا في أوروبا، فلن يكون بإمكانها أخذ مستعمراتها في شمال إفريقيا، لأنها مركز حيوي بالنسبة للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية"[7].

أما بيكر فهو من أصحاب الرأي المخالف، ففي كتابه ألمانيا والإسلام Deutschland and der Islam الذي كتبه سنة 1914، أكد أن الإسلام رهان هام من رهانات ألمانيا في الحرب، فهي تعتبر نفسها صديقة حميمة للإسلام بحكم تحالف الدولة العثمانية معها، وكانت تنشر في دعايتها بأنها حامية المسلمين وأن مستقبل الخلافة العثمانية مرهون بها. وأكد بيكر في كتابه أن الجزائريين يشكلون خطرا حقيقيا على فرنسا، بدليل بقائهم رافضين لحكمها.

ويبدو أن الدعاية الألمانية قد راهنت على الرأي الثاني، فحاولت أن تثير الأهالي ضد فرنسا، وأن تدفعهم إلى القيام بثورة ضدها، مستغلة في ذلك تحالف السلطان العثماني مع القيصر الألماني، وإعلان الجهاد على الغرب المسيحي الاستعماري من طرف شيخ الإسلام آنذاك خيري بن عون الأركوبي، في مسجد الفاتح في 41 نوفمبر 1914، حيث أعلن للمسلمين الذين يخضعون للاستعمار الفرنسي والإيطالي أن يوحدوا صفوفهم لمحاربة هذا الاستعمار، وهو ما أحدث هلعا كبيرا لدى الفرنسيين خاصة، حيث تلا ذلك إصدار فتوى من كبار مشائخ المسلمين بإعلان ثورات ضد الغرب المسيحي. وعلى هذا الأساس كانت الدعاية العثمانية تنشر أفكارها بين مسلمي شمال إفريقيا عامة وسكان الجزائر خاصة، حيث نشر كل من الأفغاني[8] ومحمد عبده[9] في صحيفتهما العروة الوثقى أفكارا تحررية معادية للاستعمار، ودعيا إلى الجهاد في سبيل القومية الإسلامية التي تجمع بين المسلمين

مهما اختلفت أوطانهم، فهما يريان وخاصة الأفغاني، أن لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم. وكانت جريدتا الفاروق وذو الفقار تحملان هذه المبادئ والأفكار[10]، ولكن مفهوم العثمانيين للجهاد كان يشمل كل المسلمين للذود عن الخلافة الإسلامية، بينما كان جهاد الجزائريين – ثورتهم – في هذه المرحلة محليا، أي وطنيا وليس باسم الجهاد الذي أراده السلطان العثماني في إطار الجامعة الإسلامية. وعليه نطرح التساؤل التالي: إلى أي مدى ستنجح هذه الدعاية في منع الجزائريين من الانضواء تحت العلم الفرنسي في الحرب، وإلى الانضمام بالمقابل إلى الجيش العثماني؟

كانت الدعاية العثمانية–الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى تنشط على مستوى أوروبا بفضل مهاجرين مغاربة هاجروا إلى المشرق منذ فترات متفاوتة، ولاسيما بعد 1908[11]، ومن أبرزهم علي باش حامبه[12] وأخوه محمد باش حامبه[13] والشيخ المكي بن عزوز[14] وإسماعيل الصفائحي[15]. وكان هؤلاء يعملون رفقة شخصيات عثمانية مثل الأمير شكيب أرسلان[16] وسليمان الباروني[17] وعبد العزيز جاويش[18]، وذلك لخدمة العالم الإسلامي، والدفاع عن شعوب المغرب العربي المضطهدة من طرف الاستعمار، وقد كتب علي باش حامبه في الجرائد والصحف العثمانية مثل: الشباب التركي، تصوير الأفكار، وجريدة طنين، ينتقد فيها الاستعمار الفرنسي، ويدعو سكان المغرب العربي للثورة. وقد أنشأ هؤلاء المغاربة في برلين بألمانيا لجنة استقلال الجزائر وتونس في جانفي 1916 برئاسة الشيخين صالح الشريف[19] واسماعيل الصفائحي، وكانت مهمة هذه اللجنة تتمثل في تحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي، وانتقاد الاستعمار الفرنسي[20]، الذي اعتبروه أسوأ المضطهدين للشعوب.

وفي نهاية ماي 1916 تأسست لجنة أخرى فرعية بجنيف بسويسرا برئاسة محمد باش حامبه، بدأت تصدر مجلة المغرب La Revue du Maghreb لنشر نفس الأفكار بدعم من ألمانيا والدولة العثمانية، وقد كتب أحد الجزائريين في عددها الثاني ما يلي: "إننا جزائريون مسلمون وسنبقى جزائريين مسلمين"[21]. وكانت هذه اللجنة تشجع جنود إفريقيا الشمالية على الهروب من الجيش الفرنسي، حيث كانت توزع عليهم المناشير في

جبهات القتال بطرق خفية. ففي **1915** احتجز الفرنسيون بعضها الذي كان موجها إلى الجنود الجزائريين والمغاربة في الجبهة الأوروبية، وهي عبارة عن بيانات تدعوهم إلى الانضمام إلى أعداء فرنسا استجابة لإعلان الجهاد إلى جانب الدولة العثمانية ضد الحلفاء، وبالتالي فإن من واجبهم كمسلمين أن يستجيبوا لهم "فالعثمانيون إخوانهم في الدين"[22]، وقد نجحت هذه المناشير في التأثير على الجنود المسلمين المتواجدين ضمن الجيش الفرنسي وجيوش الحلفاء، حيث حدث أن فرّ الكثير منهم، ولجؤوا إلى جيش الألمان والعثمانيين الذين خصصوا لهم ولإخوانهم الأسرى، مركزا خاصا في فنزدورف **Wunsdorf**، قرب برلين بألمانيا، ويسمى معسكر الهلال، حيث تم عزلهم عن الأسرى الفرنسيين، ووضعهم تحت قيادة ضباط ألمان يجيدون العربية. وحسب المصادر الفرنسية فإن هؤلاء المجندين الجزائريين قد عوملوا معاملة جيدة، فقد كان الأكل يمنح لهم على الطريقة الإسلامية، كما بني لهم فيه مسجد كبير في وسطه، تم افتتاحه وسط احتفالات كبيرة حضرها العديد من الجزائريين والتونسيين والمغاربة الساخطين على الاستعمار الفرنسي، وبعض الشخصيات الألمانية والعثمانية[23]. وكان يتم في مركز الهلال جمع الأسرى والفارين من جيوش الحلفاء، فتلقى عليهم الخطب التي تتضمن فكر الجامعة الإسلامية، والجهاد تحت لواء الخليفة العثماني، والتحالف مع ألمانيا صديقة الإسلام، وكانت الخطب من إلقاء شخصيات عثمانية، ومستشرقين ألمان، وبعض قادة المهاجرين المغاربة، مثل الأمير علي ابن الأمير عبد القادر الذي كان نائبا لرئيس المجلس الوطني العثماني، فكانوا ينشرون بينهم الأفكار الوطنية. أما المشايخ صالح الشريف ومحمد الخضر الحسين[24] وغيرهما، فقد تولوا مذهبتهم بمبادئ الجامعة الإسلامية. وبعد مذهبتهم وتكوينهم عسكريا وفكريا ونفسيا، يتم إرسالهم إلى الجزائر أو إلى آسيا الصغرى لكي يحاربوا في الجيش العثماني، أو يبقونهم في أوروبا لنشر الدعاية العثمانية–الألمانية. ومن أبرز أولئك الجزائريين الفارين من الجيش الفرنسي، الملازم الحاج عبد الله الذي فرّ رفقة عدد كبير من الجزائريين، واسمه الحقيقي رابح بوكابوية، أصبح يكتب صفحة خاصة في مجلة الجهاد[25] التي كانت تنشر في معسكر الهلال، ينتقد فيها الاستعمار الفرنسي انتقادا شديدا، ويدعو إخوانه المسلمين للجهاد في صفوف الجيش العثماني، و ألف كتيبا بعنوان الإسلام في الجيش الفرنسي **L'Islam dans l'armée Française**، دعا فيه الجزائريين إلى معارضة ورفض الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، والثورة ضد فرنسا، كما ألف كتيبا

آخر يشمل نفس الأفكار بعنوان: مسلموا شمال إفريقيا والجهاد Les Musulmans de l 'Afrique du Nord et le Djihad.

وكان عدد الجنود المغاربة بمعسكر الهلال في حدود 1916 حوالي (3200) ثلاثة آلاف ومائتي جندي منهم حوالي (2500) ألفين وخمسمائة جزائري، و(500) خمسمائة تونسي، و(200) مائتي مغربي، تم تجنيد الكثير منهم في الجيش العثماني، وذلك عن طريق كل من إسماعيل الصفائحي وعبد العزيز جاويش اللذان تنقلا إلى استنبول وبرلين وتمكنا من تجنيد حوالي (800) ثمانمائة جندي وضابط في دفعة أولى، ثم حوالي (480) أربعمائة وثمانين في دفعة ثانية، ضمن فرق كونتها الحكومة العثمانية خلال الحرب عرفت باسم التشكيلات هدفها تحرير بلدان العالم الإسلامي(26).

أما في الجزائر، فإن الدعاية العثمانية–الألمانية ضد التجنيد في الجيش الفرنسي كان أثرها محدودا، فنداء الجهاد الذي أصدره بعض مشائخ المسلمين، والنداء الذي أعلنه السلطان العثماني، لم يكن له أثر كبير إلا في بعض المناطق، فثورة بني شقران سنة 1914 ضد التجنيد الإجباري كانت جهادا، ولكن في إطار وطني، ولم يثبت أن لها علاقة بالدعاية العثمانية–الألمانية، ونفس الشيء يقال عن ثورة الأوراس سنة 1916. ولكن هذا لا يعني أن الجزائريين لم يؤيدوا العثمانيين في حربهم، بل قد أيدوهم وتمنوا انتصارهم على فرنسا والحلفاء، ففي سطيف مثلا، استمع في أواخر سنة 1914، إلى أصوات تهتف: "تحي ألمانيا، تحي استانبول، تسقط فرنسا"(27). كما أن صدى الدعاية العثمانية–الألمانية بلغ مناطق الجنوب الجزائري أيضا، فقد دعم سكان وادي مزاب سنة 1914 الدولة العثمانية بأموال معتبرة عن طريق سليمان باشا الباروني(28)، والذي زار المنطقة في جوان 1914 لحضور جنازة أستاذه الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش(29)، وقد علق على ذلك الحاكم العام قائلا: "(...) كانت باقي مناطق الجنوب تدين بولائها لنا بشكل واضح (...) ولكن ليس هذا هو حال غرداية التي صيرها الميزابيون بؤرا للعناصر الثائرة والخطيرة، ومصدرا للأخبار السيئة فقط. فرغم عدم قدرتهم على مواجهتنا مباشرة بالسلاح إلا أنهم يشكلون خطرا غير مباشر علينا. لذلك لابد من فرض رقابة وقيود صارمة وقاسية جدا تجاه هذه العناصر المعادية لنا بهذه المنطقة، للحد من تنقل

العدوى الثورية إلى المناطق المجاورة. وربما قد تنامت هذه الروح المعادية لنا بعد زيارة السيناتور التركي سليمان الباروني في جوان 1914، الذي ترك في الميزابيين آثارا بليغة جدا"[30].

وعلى العموم، كان الجزائريون في مختلف مناطق الجزائر يرزحون تحت رقابة إدارية شديدة بفعل حالة الطوارئ التي فرضتها الإدارة الفرنسية في الجزائر خلال الحرب، ولذلك لم يظهر تأييدهم للعثمانيين والألمان إلا من خلال الأدب الشعبي، الذي كان عبارة عن أغاني شعبية تتابع مسيرة الحرب، وتؤيد العثمانيين والقيصر الألماني غيوم، الذي كانت تنعته بالحاج غيوم، ومنقذ الإسلام[31]. وقد قال المفكر الجزائري مالك بن نبي في مذكراته عن هذا الأدب ما يلي: "وثمة أسطورة تسمى أسطورة الحاج غيوم بدأت تحاك في القوم، فقد شرع الشعراء يكشفون النقاب عن أدب شعبي راقد، أو ينظمون منه للإشادة بذكره"[32]. وكانت تلك الأغاني الشعبية منتشرة في كل أنحاء الجزائر، وكانت تعبر تعبيرا صادقا عن الرأي الشعبي العام آنذاك، وكانت تسخر من هزائم فرنسا وتشيد بانتصارات ألمانيا، وتمدح إمبراطورها غيوم حليف الخليفة العثماني محمد رشاد الخامس. وفيما يلي مقاطع من قصيدة "الحاج غيوم"، تبتدئ بتهديد الفرنسيين بقرب نهاية حكمهم الاستعماري في الجزائر على يد الألمان الذين سيعيدونها إلى أهلها:

يا الفرنسيس واش في بالـك ... الجزائـر ماشـــي ديالـــــك
يجي لالمـان يديهـا لـــك ... لابد ترجـــع كيـف زمـــــان
أي أي كـي نعمـــل لــــــه ... الحاج غيوم يطلع سعـــده[33]

ثم تصف القصيدة القهر الاستعماري في إجبار الشبان الجزائريين على التجنيد الإجباري:

يا رب واش هذا الغبينـــا[34] ... نحونـا مـن عنـــد والدينـــــا
كنا ناكلوا كوارع وتفينـــا[35] ... دابا ناكلوا صوبة في الفاميــلا
كيف اركبنا في الماشينـــا[36] ... كيف الغنم يحسبـو فينـــــا
ووالـــدينا يبكـــو علينــــــا ... يــا رب واش هـــذا الغبينـــــا
أي يـــا لهـــــذا لالمــــــان ... اداونـــا[37]لاولاد والشبـــــان

وتظهر القصيدة كذلك تأسي والد على ولده الذي فقده في الحرب:

كان اوليدي في الطرانشي[38]	والمكحلـة[39] في يــــــده
حكماته رصاصة في جبينـه	أو خلات له دمّه سواقــــي
أي أي كـي نعمـــل لــه	الحاج غيوم يطلع سعــــده

ثم تمنت القصيدة انتصار العثمانيين والألمان الذي فيه انتصار للجزائر، ودعت الله لذلك:

الجزايـــر لـــك البشـــرى	بسناجـــق ترفــرف خضــرا
الدردنيـــل أصبــح مفتـــوح	وسفاينــــا تمشــــي وتروح
يـــا حــــي يـــا قيــــوم	الله ينصـــر الحاـج غيــوم
يـــا رب يا ذا الملــــــك	الله يخذل جيـش الموسكـــو
نتســـول لـــك بالخـــواص	الله يـذل جيــش لافرانص(40)
يـــا جبـار يـــا عزيـــــز	أخلي الملك من جنس الإنجليز
أميـــــن اميــــن اميــــن	أمين يــا رب العالميـــن(41)

وكانت مثل هذه الأغاني منتشرة في مختلف المدن والقرى الجزائرية، وتعتبر وثيقة تاريخية هامة لأنها تصور تطورات الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر عامة الجزائريين، وتبرز موقفهم منها[42]، كما تصف تأسي الأولياء على أبنائهم الذين أخذوا منهم قهرا، والذين مات منهم الآلاف في الحرب. وسيؤدي هذا القهر إلى قيام الجزائريين بثورات وردود فعل عنيفة، إعلانا عن رفضهم القاطع للتجنيد الإجباري، حيث كان أغلب الثوار من الفارين من الجيش الفرنسي.

كان أثر الدعاية العثمانية الألمانية في الجزائر محدودا، وكان أكثر فعالية في ساحات الحرب بأوروبا. بينما كانت الثورات التي قام بها الجزائريون جهادا في الإطار المحلي، ولم تكن استجابة مباشرة للدعاية العثمانية الألمانية. ومما جعل هذه الدعاية تفشل في تحقيق أهدافها في الجزائر هو الدعاية الفرنسية النشيطة المضادة التي طبقتها الإدارة الفرنسية في الجزائر، والسبب الثاني في فشلها، هو غياب أي التزام رسمي من طرف الحكومة العثمانية أو الدولة الألمانية تجاه الجزائريين في حالة الانتصار في الحرب.

2. الدعاية الفرنسية للتجنيد:

عملت الإدارة الفرنسية منذ اندلاع الحرب على نشر دعايتها بين الجزائريين للتجنيد في صفوف جيشها من جهة، وعلى الرد على الدعاية العثمانية–الألمانية المعادية لها من جهة أخرى، فبمجرد اندلاع الحرب وقصف الغواصتين الألمانيتين للسواحل الجزائرية في أوت **1914**، وجه الحاكم العام على الجزائر بيانين أحدهما موجه إلى المستوطنين، والآخر إلى الأهالي المسلمين الجزائريين، والذي دعاهم فيه إلى الذود عن حمى فرنسا "وطنهم الأم"، ونصحهم بألا يستجيبوا لدعاية "الألمان المخادعين" – على حد تعبيره– وناشدهم قائلا: "ساعدونا في هذا الموقف وكونوا لنا إخوانا"[(43)]، وقد استجاب لنداء الحاكم العام، الجزائريون الموالون لفرنسا، وهو ما جعل الإدارة الفرنسية تدعي أن كل الجزائريين موالون لها في حربها، واستدلت على ذلك بتصريحاتهم التي غصت بها الصحف الفرنسية، وبمساهمتهم المادية وانضمامهم إلى الجيش. وبعد دخول الدولة العثمانية إلى الحرب وإعلانها الجهاد ضد الاستعمار، نشرت الدعاية الفرنسية أن هذا الإعلان كان خدعة للمسلمين، حيث قال الحاكم العام في نداء بتاريخ **07** نوفمبر **1914**: "إن فخا قد نصب للإسلام (...) فيجب أن تتفطنوا"، وقال أيضا: "الألمان هم الذين يسيرون الحرب ويوجهونها أما العثمانيين فهم لعبة في أيديهم "[(44)]. وقد أدرك الفرنسيون جيدا أهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه رفع شعار الإسلام في هذه الحرب، في مواجهة الدعاية العثمانية التي رفعت لواء الجهاد في سبيل الله، ولذلك استعملت الإدارة الفرنسية في دعايتها رجال الدين الرسميين الموالين لها من أئمة ومفتين، حيث طلبت منهم إعطاء الشرعية الدينية لمشاركة الجزائريين في الحرب إلى جانب فرنسا ضد الألمان والعثمانيين على السواء. وقد قال مالك بن نبي عن هذا ما يلي: "كانت الإدارة الفرنسية تستمر في التجنيد (...) وبلغ بها الأمر أنها كانت تستنفر منابر الجوامع للنداء للحرب"[(45)]. وقد استجاب الأئمة والمفتون الرسميون لندائها بحكم كونهم موظفين لديها، فباركوا الحرب إلى جانبها، وحاولوا إعطاءها الشرعية الدينية بحجة أن فرنسا هي المظلومة، وألمانيا هي الظالمة والمعتدية، وبالتالي وجب على الفرنسيين والجزائريين – بحكم كون الجزائر مستعمرة فرنسية، وتعرضها لهجوم الألمان في **02** أوت **1914** – أن يدافعوا عن أنفسهم وأوطانهم. كما أظهروا فرنسا بأنها ناصرة العدالة ورمز الحضارة، والمدافعة عن الإنسانية وحقوقها، من نير البربرية الجرمانية المعتدية، مثلما نجده في بلاغ الجمعية الدينية الإسلامية بالعاصمة في **07** أوت

1914، والذي جاء فيه ما يلي: "تدركون جيدا أن تهوّر الألمان هو الذي أدى إلى إشعال الحرب، حيث رفضوا النقاش الدبلوماسي لإيجاد حل سلمي للصراع القائم. لقد غزوا بلدانا محايدة لهم، واستولوا على أراضيها بوحشية، وقاموا بذلك دون إعلان رسمي للحرب ودون سابق إنذار، وهم اليوم يهجمون على وطننا الأم فرنسا. لقد حطموا وداسوا حقوق الإنسان والقوانين الدولية، وهم معروفون بالعنف والغطرسة والاستكبار منذ القدم. وفرنسا بالمقابل رمز العدالة والشهامة والحضارة والمدافعة عنها، قد خطت خطوات هامة في خدمة الإنسانية ولذلك منحها الله مستعمرات واسعة، وسيمنحها الانتصار في الحرب (...) فأثبتوا أيها المسلمون شجاعتكم، وأثبتوا أن دم آبائكم يسري في عروقكم (...) ولا تستمعوا إلى الأكاذيب والدعايات. إن مساعدتكم للفرنسيين واجب عليكم من باب حسن الجوار والمعاشرة الذي ستدخلون به الجنة"[(46)].

ومثلما نلاحظ فإن هذه الجمعية تدعو الجزائريين إلى الانضمام إلى الجيش الفرنسي للمشاركة في الحرب، وقالت بأن ذلك من باب حسن الجوار وردّ الظلم ومجابهة المعتدي. ومن ثمّ فإن الذي يموت في الحرب من المسلمين فهو في النعيم حسب تأويلهم. وهي الفكرة التي كان الأئمة الرسميون ينشرونها بين الجزائريين ويقنعونهم بها، واستعملوا لذلك الوعظ في المساجد، ولاسيما خطب الجمعة، حيث كانوا يدعون لفرنسا بالنصر على الألمان وقوات المحور، بما فيهم العثمانيين إخوانهم في الدين. ونذكر على سبيل المثال بعض ما جاء في خطبة جمعة للإمام لفقون زواوي بن محمد الصالح، إمام المسجد الكبير بقسنطينة في بداية ديسمبر **1914**: "إننا نحن المسلمون متحدون مع الأمة الفرنسية في حربها لأنها حاميتنا (...) فلنبق موالين لها، ولننضم إلى صفوفها، فإما أن ننتصر أو نموت. لنرفع أيدينا إلى السماء وندعوا الله لينصر بلادنا الأم فرنسا، وأن يحطم الأعداء، ويحفظ الحكومة الفرنسية". وقال المفتي الرسمي بنفس المسجد: "الله ندعوا أن يرحم الذين ماتوا في الحرب (...) إن أبناءنا وأبناء المسيحيين والإسرائيليين يحاربون بنفس الروح والهدف، وهو الدفاع عن فرنسا (...) نصرهم الله"[(47)]. وأمثلة أولئك كثيرة، حيث كانوا كلهم يعتبرون الميت من جنود المسلمين المجندين في الجيش الفرنسي مرحوما، ولكنهم لم يفرقوا بين الذي انضم إراديا والذي جند إجباريا، فالذي انضم إراديا قد يكون هدفه المال أو الحصول على حقوق سياسية أو غيرها، فهو بذلك

يغامر بحياته من أجل شأن من شؤون الدنيا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو قد يقاتل ضد إخوان له في الدين دعوه إلى الجهاد قبل ذلك. لقد غضوا الطرف عن هذه المسائل العقدية، واستعملوا الإسلام لصالح فرنسا إرضاء لها، وخوفا من عزلهم عن مناصبهم إذا لم يطيعوا أوامرها. فحرفوا الكثير من المفاهيم مثل قولهم أن الفرنسيين جيران للجزائريين ينبغي الإحسان إليهم والوقوف إلى جانبهم في الحرب، وهو تضليل وتبديل خطير للمفاهيم، فالفرنسيون دخلوا الجزائر مستعمرين ومغتصبين، واستولوا عليها بعد أن أفنوا عددا هائلا من أهلها، وبعد أن قهروا الثورات المحلية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ثم أحكموا سيطرتهم على الجزائريين بسياستهم الاستعمارية التي تعتبر الجزائري إنسانا من الدرجة الدنيا في سلم الإنسانية التي يدعون الدفاع عنها. ذلك في وقت السلم ولكن عندما اندلعت الحرب أصبحوا يخاطبون الجزائريين مخاطبة الشجعان والأبطال، واعتبروا أنفسهم جيرانا لهم يجب الإحسان إليهم.

كما كانت الإدارة الفرنسية تعتمد في دعايتها كذلك على نشر فكرة القدرية بين الجزائريين، وذلك ما نلاحظه من خلال تصريحات أولئك الموالين الذين كانوا يعتبرون أن الفرنسيين هم ولاة أمور المسلمين في الجزائر، وفرنسا هي حاميتهم وقدرهم المحتوم مثلما صرح بذلك أحد النواب: "الله هو الذي وضع الجزائر تحت كنف حماية فرنسا (...) اقتنعوا بقدركم ولا تصدقوا الأكاذيب، فالدين الإسلامي ينصحنا بأن نرضى بالقدر الذي يقسمه الله لنا"[(48)]. أو كما صرح مقدم التجانية بالزيبان وواد سوف الحاج علي عندما اشتكى لديه أتباعه من الاستعمار الفرنسي الذي فرض عليهم الرقابة المشددة خلال الحرب، وطلبوا منه الوسيلة للتخلص من هذا الاستعمار فأجابهم قائلا: "إن الله هو الذي منح الجزائر للفرنسيين وجعلهم مسيطرين عليها، لذلك ابقوا في سلام معهم ولا تسيؤوا إليهم"[(49)]. وبهذه السياسة استطاعت الإدارة الفرنسية أن تسيطر على فئة معتبرة من الجزائريين خلال الحرب.

وهذا ما يتوافق مع تحليل المستشرق الألماني كامفماير سنة **1914**، حيث قال بأن الدعاية الألمانية لا يمكنها أن تنجح في الجزائر نظرا لقوة الدعاية الفرنسية التي كانت ترسخ في أذهان الأهالي أن "الاستعمار قدر محتوم من الله ولا مفر منه"[(50)].

وقد عملت كذلك على ترسيخ هذه الفكرة بالقوة والقسر والقمع كما سيأتي، وذلك لإيهام الأهالي بأن فرنسا قوية رغم خوضها الحرب العالمية، وإقناعهم بعدم جدوى الثورة عليها إن هم راموا إلى ذلك سبيلا.

أما في ساحات المعركة وفي الثكنات، فقد كانت الإدارة الفرنسية تمارس دعاية حثيثة بين الجنود الجزائريين لكي تقاوم الدعاية العثمانية–الألمانية بينهم، والتي كان تحثهم على الفرار من الجيش الفرنسي، والالتحاق بالجيش العثماني والجهاد في صفوفه. فحاولت جذبهم وإرضاء بعض حاجاتهم ومتطلباتهم الدينية والاجتماعية، وفعلت نفس ما فعله الألمان والعثمانيون ببنائهم لمسجد في معسكر الهلال، فبنت لهم مسجدا في نوجون – سير مارن **Nogent-sur-Marne** لأداء الصلوات الخمس المفروضة يوميا، واستقبال الجرحى في الحرب(51)، كما تم مراعاة تناولهم للأطعمة المشروعة، مثل اللحم الذي كان يمنح لهم من المذبوح على الطريقة الإسلامية الشرعية. و تم تعيين بعض الأئمة لتأدية الصلاة بهم، وتعليمهم وتدريسهم القرآن وغيره من العلوم. لكن في الواقع كان الهدف من تعيينهم هو الدعاية والإفتاء لصالح فرنسا، فعلى سبيل المثال يؤكد الكاتب الفرنسي ميرسي **Mercier** سنة **1918**، أن أولئك الأئمة "أفتوا للمجندين في رمضان بعدم الصوم، ولكن بشرط قضائه بعد ذلك، بحجة أن الصوم يوهن قواهم في محاربة عدوهم". كما أورد نفس الكاتب بعض النماذج لرسائل المجندين الجزائريين الذين أبدوا رضاهم على وضعيتهم في الثكنات الفرنسية، ففي إحداها قال فيها صاحبها: "أنا لا أشرب الخمر ولا أتلاعب بالمال، ولا أذهب إلى الأماكن المشبوهة (...)"(52).

في حقيقة الأمر كان الجزائريون يدركون أن فرنسا لم تعمل ذلك من أجل مصلحتهم، أو احتراما لدينهم، ولكن من أجل مصالحها هي، فقد أبدوا تعجبهم من استعمال المسجد الذي هو مكان للعبادة، كمستشفى لمعالجة الجنود الجرحى في الحرب. وعبروا عن ذلك عن طريق الأدب الشعبي، فقد جاء في أغنية العصر ما يلي: "إن الفرنسيين أصدقاءنا قد بنوا المستشفيات في مساجدنا (...) تعال واشهد هذه النكبة"(53). وهو تعبير عن أنهم يدركون بأن المسجد لم يكن الهدف منه أداء فريضة الصلاة فقط، بل إن أغراضا أخرى كانت من وراء بنائه، القصد منها كسب ولاء الجزائريين، ومحاربة الدعاية

العثمانية–الألمانية التي كانت تعتمد على الأساس الديني والعقدي.

لقد كان على الدعاية الفرنسية أن تشن حملة مضادة تحت شعار فرنسا الإسلامية[54]، ووفاء لهذا الشعار، قررت فرنسا إقامة دار للاستقبال في مكة خاصة بالحجاج الجزائريين، وكان اسمها الرسمي دار الضيوف، وذلك بعد أن سمحت الإدارة الفرنسية بالحج سنة 1916 بعد نجاح ثورة الشريف حسين[55]، وطرد كل العملاء العثمانيين والألمان من الحجاز، وقد بعث الحاكم العام ببعثة حجيج خاصة إلى الشريف في نفس السنة، لتعبر له عن سرور الفرنسيين لتحقيق استقلال البقاع المقدسة، مع تقديم هدايا خاصة إلى الشريف من طرف الحكومة الفرنسية[56]، والهدف من كل هذا هو تحسين صورة فرنسا داخل الجزائر وخارجها وإظهارها بمظهر بلد يهتم بالإسلام والمسلمين، ردا على الدعاية العثمانية–الألمانية.

وبالإضافة إلى استعمال الإدارة الاستعمارية للإسلام في دعايتها للحصول على المجندين الجزائريين كانت تستعمل أيضا إغراءات مختلفة، لاسيما المادية منها، فقد قامت بحملات دعائية واسعة استعملت فيها الموسيقى والولائم وما شبه. فمنذ مطلع سنة 1915 تم اتخاذ عدة إجراءات ترغيبية للتشجيع على الانضمام إلى الجيش الفرنسي، حيث أصدر قائد الجيش الفرنسي في الجزائر (الجنرال قائد الفيلق التاسع عشر) منشورا يحث فيه على التجنيد بطرق مغرية، فخصصت الإدارة فرقا موسيقية تعزف الموسيقى وتضرب الدفوف لجلب الناس إليها، وكانت تعرض عليهم الولائم من حلويات ومشويات وأطباق من الطعام، معروضة أمام أنظار الفلاحين والفقراء من الأهالي الجزائريين لمن يريد أن يتناول. وكانت بعض الفرق العسكرية تشارك في الاستعراضات التي كانت تضم كذلك راقصين وموسيقيين لإغراء الجزائريين بكرم فرنسا، لجذبهم للخدمة في الجيش الفرنسي[57].

وفي 03 جانفي 1915 اتخذ الحاكم العام إجراء إغرائيا آخر، وهو قرار يعفي كل الأهالي الجزائريين الذين يجندون أو ينضمون إلى الجيش الفرنسي خلال مدة الحرب وأولياءهم من قانون الأهالي[58]، وقد نجحت الإدارة الفرنسية بهذا الإجراء في تجنيد الكثير من الجزائريين في صفوف جيشها، وكان أولئك الذين استجابوا لهذا الإجراء من الفقراء والمدقعين الذين رأوا في هذا القرار خلاصا لهم من قانون الأهالي البغيض.

وفي نفس الإطار قام جورج كليمانصو (رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ) وجورج ليق بتوجيه رسالة إلى رئيس مجلس الوزراء أريس برايان، وطلبا منه إصلاح وتحسين الحالة الاجتماعية والسياسية للأهالي الجزائريين على ضوء ما صوت عليه مجلس النواب في 09 أفريل 1914، وطلبا منه ما يلي:

- تجنيس الأهالي بغض النظر عن الأحوال الشخصية الإسلامية (أي عدم اشتراط التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية. وهو ما لم يكن عليه الحال من قبل، إذ أن الأهالي الجزائريين كان عليهم أن يتخلوا عن أحوالهم الشخصية الإسلامية إذا ما راموا تجنيسا).
- توسيع الدائرة الانتخابية بالنسبة للأهالي، ومنحهم حرية التعبير والانتخاب.
- تمثيل الأهالي في مجلس أعلى بباريس، تمثيلا مباشرا يساهم في تحسين الرقابة الإدارية والسياسية للجزائر.
- تحسين تمثيل الأهالي في الوفود المالية، وفي المجالس البلدية والعامة، وتخصيص اعتمادات مالية إضافية.
- مشاركة المجالس البلدية الخاصة بالأهالي في انتخاب رئيس البلدية.
- مراجعة الضرائب الخاصة بالأهالي (الضرائب العربية).

وقد أجابهما رئيس مجلس الوزراء في 05 ديسمبر 1915، بأن الحكومة توافقهما في هذا، وأكد لهما أن وزير الداخلية قد شرع في تحضير إجراءات في هذا الصدد، وقال أيضا بأنه يسعى شخصيا لتمثيل أهالي شمال إفريقيا تمثيلا مباشرا في فرنسا[59]. ومثلما نلاحظ فإن مقترحات ليق وكليمانصو تحاول الاستجابة للمطالب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للأهالي الجزائريين في هذه المرحلة قصد كسبهم، وصرف أنظارهم عن الدعاية العثمانية– الألمانية.

ورغم ما حققته هذه الإغراءات من نتائج إيجابية، إلا أن الإدارة الفرنسية طبقت كذلك سياسة زجرية وقهرية قاسية، لإجبار الجزائريين على الإلتحاق بالجيش خلال الحرب[60]، فبمرور الزمن، وتوالي المعارك الطاحنة وسقوط ضحايا كثيرين في الحرب، تناقص عدد المنضمين إلى الجيش، وتزايد رفض التجنيد الإجباري بين الأهالي، وهو ما جعل الإدارة الفرنسية تلجؤ إلى استعمال القوة والقسر والترهيب في إجبار الشباب الجزائري على الخضوع لنداء التجنيد حيث كانت الفرق العسكرية

تصاحب الفرق الخاصة بإجراء عملية القرعة والتجنيد في عملها، كما كانت تلاحق الفارين من هذا الإجراء. ففي 02 سبتمبر 1914 صدر المرسوم الخاص بإحصاء دفعة 1915، ثم في 09 سبتمبر من نفس السنة، أصدر وزير الحرب منشورا كلف فيه الأعوان الإداريين البلديين وأعوان الشرطة وفرق الدرك، بالتحري وتحديد الشباب البالغ سن التجنيد والفارين، والذين غيروا مكان إقامتهم، ثم إجبارهم على تسوية وضعيتهم تجاه الخدمة العسكرية، وإيقاف كل من لم يفعل ذلك، وحجزه لدى السلطات العسكرية مباشرة(61)، وقد استمرت الإدارة الفرنسية في تطبيق التجنيد الإجباري سنوات 1914 و 1915 و 1916، وتم تجنيد كل الشبان المطلوبين رغما عنهم، حيث لم يكن لهم سبيل آخر غير القبول بالأمر الواقع، لأنهم كانوا مراقبين مراقبة شديدة. فبالإضافة إلى حالة الطوارئ، أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا في 23 أكتوبر 1915 قوّت به سلطة الشرطة في الإشراف المباشر على الأهالي الجزائريين(62).

وفي 07 سبتمبر 1916، أصدرت وزارة الحرب بباريس مرسوما يجيز للحاكم العام على الجزائر استدعاء كل الجزائريين المولودين سنة 1890 وما تلاها، والبالغين سن الثامنة عشرة فما فوق، أي الذين تم تعليق أسمائهم على قوائم الإحصاء منذ 1909، والذين لم يتم تجنيدهم من قبل شرط أن تكون حالتهم الصحية تسمح بذلك(63). ثم في 14 سبتمبر 1916، وبأمر من رئيس الحكومة الفرنسية، اضطرت وزارة الحرب، إلى إصدار مرسوم جديد يفرض التجنيد لا على الجنود فحسب بل على العمال أيضا، وذلك تحت ضغط ظروف الحرب، ونص هذا المرسوم على تجنيد (17500) سبعة عشر ألفا وخمسمائة عامل جزائري، يتم تجنيدهم في دفعات ما بين أكتوبر ونوفمبر 1915، وتجنيد العمال مثل التجنيد العسكري، يكون مفتوحا في البداية على الانضمام الإرادي، وإذا لم يكتمل العدد المحدد، يتم اللجوء إلى تجنيد ما بقي من العمال من قوائم إحصاء الشبان البالغين سن الثامنة عشرة، والذين لم يتم تجنيدهم في الجيش، وبعدها ينقلون إلى فرنسا للعمل لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد كل ستة أشهر، مقابل منحة قدرها (120) مائة وعشرون فرنك، مع توفير المسكن والمأكل والملبس المجاني، واستفادتهم من شروط العمل في القانون الفرنسي، مثل التعويض في الكوارث وغيره(64)، ويذكر راجر **Rager** أن أولئك

العمال الجزائريين المجندين تم تشغيلهم في الشركات العامة والخاصة، وفي المصانع الحربية، والموانئ، والفلاحة، وأعمال الحفر في جبهات القتال[65].

واستطاعت الإدارة الفرنسية بفضل سياستها الاغرائية والترهيبية، تجنيد كل الجزائريين المطلوبين تقريبا، مثلنا تبينه الإحصائيات التالية[66]:

عدد المجندين الجزائريين خلال سنوات 1914 – 1915 – 1916				
الدفعة	المجنَّدون إجباريا		المنصمون إراديا	المجموع
	العدد المطلوب	المجندون		
سنة 1914	2500	2500	16604	19104
سنة 1915	2500	2500	12052	14552
سنة 1916	5200	4800	12608	17408
مجموع عدد الجزائريين المشاركين في الحرب بصيغتي التجنيد الإجباري والانضمام الإرادي سنوات 1914 – 1915 – 1916				**51064**

ولا بأس أن نذكر الإحصائيات العامة لمشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى والتي كانت كما يلي[67]:

الإحصائيات العامة لمشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى	
الجنود	177800
العمال	75800
المجموع	253600

أما عدد الضحايا الجزائريين، فقد كان كالآتي[68]:

عدد القتلى والجرحى الجزائريين في الحرب العالمية الأولى	
القتلى	56000
الجرحى	82000

استعملت الإدارة الفرنسية في تجنيد الجزائريين دعاية اغرائية حثيثة من جهة، واستعملت طرقا تعسفية وقهرية من جهة أخرى، لا سيما ما جاء به مرسوم 07 سبتمبر 1916، حيث يجيز للحاكم العام أن يكلف في بعض الحالات أعيان الجماعات، بتحديد واختيار الشبان الذين يتم تجنيدهم(69). أي أن تعطى للأعيان الرسميين الحرية في تعيين هؤلاء الشبان، وهو ما فسح المجال واسعا للحسابات والاعتبارات الشخصية. وتعتبر هذه من بين المخططات الفرنسية التي تهدف إلى إذلال الجزائريين بعضهم ببعض، ونشر داء الرشوة بينهم، حيث كان بعض أولئك الأعيان يتقاضون كميات معتبرة من الذهب والمال لغض الطرف عن أبناء العائلات الغنية، وتعيين أبناء الفقراء فحسب. فبالرغم من أن نفس المرسوم تضمن أيضا إلغاء مبدأ التعويض الذي كان يمس الفقراء فقط، إلا أن إعطاء الأعيان الرسميين حرية تعيين المجندين، أعاد طرح نفس الإشكال لكن بصيغة مختلفة، وأخطر من سابقتها، حيث أصبح هؤلاء يتاجرون بأسماء الأهالي ويتلاعبون بها كيفما شاؤوا، فكانوا يعينون أبناء الفقراء فقط، لأنهم كانوا غير قادرين على دفع الرشوة مثلما كان يفعل الأغنياء.

وبالنسبة للانضمام الإرادي فقد ظهرت كذلك تجارة من نوع آخر، فالإدارة الفرنسية كانت تشتري الجنود من هؤلاء الأعيان بثمن معين، وكان المجند يتقاضى مقابل وزنه قدرا ماليا معينا، وشهد على ذلك مالك بن نبي في مذكراته إذ قال: "وهكذا ظهرت تجارة خاصة، فثمة رجل ذو ساق خشبية كان يبيع الفرنسيين لحم الأهالي بثمن معين لكل كيلو. وذلك الذي كان مبيعا كان يقبض ثمن نفسه مبلغا متناسبا ووزنه". وأعطانا بن نبي نموذجا شاهده من أولئك الذين كانوا يبيعون أنفسهم مقابل المال، حيث قال: "ولقد رأيت واحدا من هؤلاء المبيعين – واسمه "ولد

الجبلي"– يستهلك كل ثمنه في الخمر ويغني قرب الأسوار غناء كله نحيب من بنات

أفكاره: ترى كم تعيش يا جبلي ! كم تعيش؟ لقد قالت فرنسا بأنها لا تملك عددا كافيا من الجنود ! ترى كم تعيش؟"(70).

تؤكد العديد من المصادر أن الكثير من الجزائريين شاركوا في الحرب العالمية بسبب الفقر والحاجة المادية الشديدة، حيث أكد الكاتب الفرنسي ميرسي سنة 1918 ما يلي: "إن كثيرا من الشبان الجزائريين الذين شاركوا في الحرب، إنما فعلوا ذلك لأسباب مادية محظة، فهم بلا شغل طيلة السنة، فانضموا إلى الجيش طلبا للمال (...) وكان كثير منهم أيضا قد شاركوا بدفع من أهاليهم الذين كانوا يعيشون حالة اجتماعية مزرية"(71). وأكد سينيوري Signoret سنة 1919 ما يلي: "المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي جنودا كانوا أو عمالا، مجندون إجباريا أو منضمون إراديا، إنما فعلوا ذلك وهم مجبرون في الواقع، فقد انضموا إما بتأثير الأعيان عليهم، أو بسبب الطرق التعسفية والقسرية المطبقة في تجنيدهم من طرف الإداريين الفرنسيين. إنهم مجندون "بالسيف" أي بالقوة"(72). وبالإضافة إلى الحاجة المادية التي كانت دافعا للقبول بالتجنيد، أجبر كثير من الجزائريين أبناءهم على القبول بالتجنيد الإجباري إبان الحرب للحصول على الإعفاء من قانون الأهالي، وذلك بموجب قرار 03 جانفي 1915 الذي يعفي المجندين الجزائريين خلال الحرب وأوليائهم من قانون الأهالي كما ذكرناه آنفا.

وبالتالي فإن كل الجزائريين الذين شاركوا في الحرب، كانوا مجبرين على المشاركة، إما بسبب قهر الإدارة الفرنسية، أو بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية المزرية التي حتمت عليهم الانضمام إلى الجيش، وهذا عكس ما كانت تنشره الدعاية الفرنسية من أن الجزائريين أثبتوا ولاءهم لفرنسا بانضمامهم إلى الجيش في فترة الحرب وباستجابتهم لنداء التجنيد الإجباري. ففي الواقع كان الجزائريون في كل الحالات مجبرين على الخضوع لهذا الإجراء، وباعتراف العديد من المصادر الفرنسية المنصفة.

الهوامش:

(1) − Desparmet J , "Quelques échos de la propagande allemande a'

Alger", Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, Tome. 10, 1915, p. 48.

(2) – Augustin Bernard, L'Allemagne et l'Afrique du Nord, "Algérie" dans: Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, Avril 1915, p. 88.

(3) – "Le projet d'armée indigène", Akhbar, N. 13597. Dimanche 26 Septembre 1909.

(4) – عن الموضوع، أنظر كذلك: سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الطبعة 04، الجزء 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، 1992.

(5) – كامفماير جورج مستشرق وأستاذ جامعي ألماني.

(6) – كارل بيكر مستشرق وأستاذ بجامعة بون Bonn ومدير المعهد الاستعماري في هامبورغ بألمانيا.

(7) – Augustin Bernard, Op. Cit.

(8) – جمال الدين الأفغاني، من مواليد سنة 1838 بكابل بأفغانستان التي نشأ بها، ثم جال في الشرق والغرب داعيا إلى الوحدة الإسلامية ومناهضة الاستعمار. من آثاره الأدبية إبطال مذهب القرويين، كما أصدر رفقة الشيخ محمد عبده مجلة العروة الوثقى في باريس سنة 1884. مات سنة 1897. انظر:

الزركلي خير الدين، المرجع السابق، الجزء 06، الطبعة 11، بيروت– لبنان، 1995، ص. ص. 168– 169.

(9) – محمد عبده، من مواليد سنة 1849 بمصر، خريج جامع الأزهر، ومن علماء المسلمين الداعين إلى التجديد والإصلاح، حرر جريدة الوقائع المصرية، وناوأ الإنجليز فنفي. أصدر رفقة جمال الدين الأفغاني مجلة العروة الوثقى في باريس سنة 1884، ثم تنقل إلى بيروت أين اشتغل بالتدريس والتأليف. عين مفتيا للديار المصرية سنة 1899، ومن مؤلفاته رسالة التوحيد، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح نهج البلاغة، تفسير القرآن، ومقالات كثيرة. توفي سنة 1905. أنظر:

الزركلي خير الدين، المرجع السابق، الجزء، ص. 252.

(10) – فقد صرح عمر راسم في جريدته ذو الفقار في عدده الثالث بأنها عبدوية الاتجاه.

(11) – إن أغلب الجزائريين الذين هاجروا بين 1908 – 1911، إنما فعلوا ذلك بسبب قرب تطبيق قانون التجنيد الإجباري.

(12) – علي باش حامبه (1875 – 1918) من مواليد تونس، درس بالصادقية ثم بباريس،

وحصل على شهادة ليسانس في الحقوق. مارس مهنة المحاماة بتونس. أنشأ مع عبد العزيز الثعالبي جريدة التونسي في 1907. نفي إلى إصطنبول سنة 1912 وتولى عدة مناصب بالدولة العثمانية. توفي سنة 1918. كان من أبرز دعاة ورواد الجامعة الإسلامية. أنظر:

محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، الطبعة 02، 1992، تونس، ص. 354.

(13) – محمد باش حامبه (1881 – 1921) من مواليد تونس، درس بالصادقية، واشتغل بإدارة المالية ثم بإدارة العدل. درس بكلية الحقوق بباريس، عمل بالمحاماة بتونس. له مجلة المغرب La Revue du Maghreb سنة 1916. وكان قد اشتغل كثيرا في اصطنبول. أنظر:

محمد بوذينة، المرجع السابق، ص. 433.

(14) – المكي بن عزوز (1854 – 1916) من مواليد تونس، وهو من أصول جزائرية، رحلت عائلته من الجزائر بعد الاحتلال من برج عزوز بطولقة. وهو عالم بالدين والأدب. له زاوية بنفطة بالجنوب الغربي التونسي. له عدة مؤلفات في الأدب واللغة والدين والتصوف. توفي بإصطنبول. أنظر: بلقاسم محمد، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1995، ص. 62.

(15) – إسماعيل الصفائحي (1853 – 1918) من مواليد تونس، وهو من شيوخ الزيتونية. تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة. توفي بإصطنبول التي تنقل إليها بعد أداء فريضة الحج سنة 1905. أنظر: بلقاسم محمد، نفسه.

(16) – الأمير شكيب أرسلان (1871 – 1946) من مواليد الشريفات بلبنان، من أسرة الدروز وهو أديب وسياسي من دعاة الوحدة الإسلامية. من آثاره الكثيرة لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. أنظر:

الزركلي خير الدين، المرجع السابق، الجزء 03، الطبعة 10، بيروت– لبنان، 1992، ص. ص. 173– 175.

(17) – سليمان الباروني من مواليد سنة 1870 بليبيا، تربى بها، ثم تنقل إلى تونس للتعلم سنة 1887، ثم إلى الأزهر سنة 1892 وبعده إلى ميزاب سنة1895 ليتتلمذ على الشيخ امحمد اطفيش. عين سنة 1908 نائبا في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني) عن ولاية طرابلس، كما عين في مجلس الأعيان العثماني سنة 1914. واجه الاستعمار الإيطالي سنة 1911، وأسس الجمهورية الطرابلسية سنة 1918. توفي في 1940. لمزيد من التفاصيل أنظر: معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب الإسلامي)، مجموعة من المؤلفين، الطبعة 02، الجزء 02، جمعية التراث، القرارة–غرداية، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1421ه/2000م، ص. 206.

(18) – عبد العزيز جاويش (1876– 1929) من رجال الحركة الوطنية بمصر، تونسي الأصل، ولد بالاسكندرية، تعلم بالأزهر، تم اختياره أستاذا للغة العربية بجامعة كامبردج ببريطانيا، ثم عاد إلى مصر مدرسا للغة العربية، تولى تحرير جريدة اللواء سنة 1908، والتي انتقد فيها الاحتلال انتقادا شديدا. أصدر باصطنبول عدة مجلات منها مجلة الهلال. أرسلته الحكومة العثمانية للدعاية في برلين. أنظر:

الزركلي خير الدين، المرجع السابق، الجزء 04، الطبعة 10، بيروت– لبنان، 1992، ص. 17.

(19) – صالح الشريف (1862 – 1920) من مواليد تونس، وهو من أصول جزائرية، تخرج من معهد الزيتونة ثم درس به. هاجر إلى دمشق سنة 1916 حيث اهتم بالمهاجرين المغاربة في بلاد الشام، ثم انتقل بعدها إلى إصطنبول وشارك في الحرب الليبية – الإيطالية. من آثاره: الجهاد فريضة مقدسة، طبع باسطنبول في نوفمبر 1914. أنظر: محمد بوذينة، نفسه، ص. 261.

(20)– Desparmet J., "La Turcophilie en Algérie", Op. cit., 1917, p. 03.

(21)– Ibid.

(22)–Desparmet, "Quelques échos de la propagande allemande a' Alger", Op. cit., p. 70.

(23)– Ibid.

(24) – محمد الخضر الحسين (1873 – 1958) من مواليد تونس، وهو من أصول جزائرية، تخرج من معهد الزيتونة، كان مستقرا في دمشق من 1912 إلى 1917 أين انتقل إلى إصطنبول ثم ألمانيا. كان من مؤسسي جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى. شيخ الأزهر من 1952 إلى 1954. أنظر:

الزركلي خير الدين، المرجع السابق، الجزء 06، ص. ص. 113– 114.

(25) – عملت وزارة الشؤون الخارجية الألمانية (قسم الشؤون الشرقية) على إصدار عدة مجلات: مجلة الجهاد، مجلة الشرق الجديد، مجلة العالم الإسلامي.

(26) – بلقاسم محمد، المرجع السابق، ص. 72.

(27) – Meynier Gilbert, L'Algérie Révélée, La guerre de 1914-1918 et le premier quart du XX (20)eme Siècle, Libraire Droze, Genève, , 1981, p. 623.

(28) – كان سليمان الباروني في هذه السنة نائبا في مجلس الأعيان العثماني.

(29) – امحمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، إشتهر بلقب القطب عند أهل منطقة وادي مزاب، وهو دليل على مكانة الشيخ وعلى كونه مرجعا للاباضية في زمانه ولاي زال. ولد حوالي سنة 1821 ببلدة غرداية، ثم انتقل إلى بن يزجن أين تعلم بها وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنوات، وتعلم على يد أخيه الأكبر ابراهيم الذي كان يدرس بالمشرق. ثم غدا امحمد من أكبر علماء مزاب وهو في سن العشرين. فتح دارا للتعليم، وشمر للاصلاح الاجتماعي في وسط كان كثير الفتن. رفض الاستعمار على أساس أن الأمة الجزائرية أمة مسلمة، والأوروبيون المستعمرون أمة مشركة كافرة، واستعمار فرنسا للجزائر يعني قهر المسلمين ومحاربة الإسلام، وبالتالي رفض تواجد الكفار على أرض الإسلام. لمزيد من التفاصيل حول حياة الشيخ اطفيش، أنظر:

مصطفى وينتن، آراء الشيخ اطفيش العقدية، جمعية التراث، القرارة–غرداية، 1419هـ/1998م.

(30)– Bruno, Op. cit. Bruno charles Dominique, La Propagande anti – Française au M'zab au début des années 1920, Mémoire de Maîtrise d'Histoire, Université de Provence Aix – Marseille, 1988, p.26.

نقلا عن:

Lutaud Charles, Situation générale du territoire du sud de l'Algérie pendant les années 1914 et 1915, Adolphe Jordan, Alger, 1916.

(31)–Signoret, "L'Algérie et les indigènes pendant la guerre", Revue Politique et Parlementaire, Tome 98, Janvier – Février – Mars 1919, p.291.

(32) – مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، ترجمة مروان القنواتي، سلسلة مشكلات الحضارة، الجزء 01، الطبعة 01، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 1969، ص. 36.

(33) – ينصره الله.

(34) – من الغبن.

(35) – أكلات شعبية.

(36) – القطار.

(37) – أخذونا لقتال الألمان.

(38) – في جبهة القتال.

(39) – البندقية.

(40) – فرنسا.

(41) – النص العربي والمترجم إلى الفرنسية في:

Desparmet, "La chanson d'Alger pendant la guerre", Op. Cit. , p.p. 54 – 83.

(42) – مثلما يرويه مالك بن نبي حيث قال: "إمتصصت من قسنطينة ميولا للأتراك (...) وقد كنت أتتبع خطا الجيش التركي في رمال سيناء حتى قناة السويس التي كاد أن يجتازها (...) إن صورة الحرب العالمية غدت لي مألوفة بوقائعها في شارلروا والمارن والأردن وفردان". انظر:

مالك بن نبي، المصدر السابق، ص. 50.

(43) – المبشر، العدد 5690، السبت 16 رمضان 1332هـ 08 أوت 1914م.

(44) – المبشر، العدد 5716، السبت 18 ذي الحجة 1332هـ 07 نوفمبر 1914.

(45) – مالك بن نبي، المصدر السابق، ص. 277.

(46)- Melia J, L'Algérie et la guerre, 1914-1918, Plon, Paris, 1918, p. p.117 - 120.

(47)-Melia J, Op.cit.

(48)- Ben siam Mohamed, " Jours d'épreuve", Akhbar, N. 13762, Dimanche 30 Août 1914.

(49) - Bernard, "L'Allemagne et l'Afrique du Nord", Op. Cit. , p. 88.

(50)- Melia J, Op. cit. , p. 130.

(51)-Demontes, "L'Algérie pendant ces 18 mois de guèrre", Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, Tome 10, 1915, p. 130.

(52)- Mercier, Op. cit. , p. 212.

(53)-Desparmet, Op. cit. , p. 79.

(54). أنشأت الإدارة الفرنسية جريدة للدعاية سنة 1913، اسمها فرنسا الإسلامية، وأخرى باسم أخبار الحرب، وهي إخبارية أسبوعية.

(55). الحسين بن علي (1854– 1931) شريف مكة والحجاز منذ سنة 1908، نشأ في اصطنبول وأعلن الثورة العربية على العثمانيين ف شبه الجزيرة العربية انطلاقا من الحجاز فطردهم منها، متفقا في ذلك مع البريطانيين، وكان له ذلك سنة 1916، هزمه ابن سعود سنة 1924، فترك البلاد وأقام في نيقوسيا. توفي في عمّان بالأردن ودفن في مكة. أنظر:

الزركلي خير الدين، المرجع السابق، الجزء 02، الطبعة 11، 1995، ص. 249.

(56) . "Le Pélérinage a' la Mèque" , Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, Août – Septembre 1916, p. 289.

(57) −Signoret, Op. cit. , p.289.

(58) − "Algérie" dans: Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, 1915, p. 37.

(59) − "Algérie" dans: Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, 1916, p. p. 43 – 44.

(60) – وقد علق الكاتب الفرنسي سينيوري على ذلك قائلا: "إن الإدارة الفرنسية كانت تستعمل طريقة العصا والشعير في تجنيد الجزائريين". انظر:

Signoret, Op. Cit. , p. 289.

(61)- "La recherche des insoumis", L'écho d'Oran, N. 15604, Dimanche 27 Septembre 1914.

(62)- "Algérie" dans: Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, Janvier - Février 1916, p. 44.

(63) – مرسوم 07 سبتمبر 1916، المبشر، العدد 5912، السبت 25 ذي القعدة 1334هـ 23 سبتمبر 1916.

(64) – مرسوم 14 سبتمبر 1916، المبشر، العدد 5914، السبت 02 ذي الحجة 1334هـ 30 سبتمبر 1916.

(65) − Rager, Op. Cit. , p. p. 63- 64.

(66) − Meynier, Op. Cit. , p. 405.

(67) − "Algérie" dans: Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, Juillet - Août 1919, p. 229.

(68) "−Algérie" dans: Bulletin du comité de l'Afrique du Nord, Juillet - Août 1919, p. 229.

(69) – مرسوم 07 سبتمبر 1916، المصدر السابق.

(70) – مالك بن نبي، المصدر السابق.

(71) − Meynier, Op. Cit. , p. 210.

(72) − Signoret, Op. Cit. , p. 294.